لغز الرسالة الطائرة



محمود سالم

لغز الرسالة الطائرة

تأليف
محمود سالم



لغز الرسالة الطائرة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٨ ٢٣٧٢ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٧٣.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢١.

المحتويات

شيء من السماء

كانت «لوزة» تقف في مطبخ منزلهم تُعِد بيدها عصير الليمون لـ «تختخ»، تريد أن تنتهي بسرعة من عملها حتى تجري إلى منزله — قبل أي شخص آخر — وتُقدِّم له الليمونادة، التي نصحه الدكتور بشربها لإصابته بنزلة برد.

لقد كان «تختخ» مريضًا ... وكانت «لوزة» هي تقريبًا المشرفة على علاجه؛ تُعطيه الأدوية في مواعيدها ... وتُسلِّيه بالحديث، ويلعبان بعض الألعاب المسلية معًا ... أو مع بقية الأصدقاء ... لقد كانت «لوزة» تُحس بسعادة بالغة لأنها تخدم «تختخ» ... ولكن بتعاسة أيضًا لأنه مريض.

انتهت «لوزة» من إعداد الليمونادة، ووضعتها في «ترمس»، ثم انطلقت تجتاز الحديقة ... عندما سمعت طلقة بندقية، وسمعت بعض الأولاد يتصايحون ويجرون، ثم فجأةً وجدت شيئًا يمرق أمام عينَيها نازلًا من السماء، ثم يسقط بين قدمَيها على الأرض.

ذُهلت «لوزة» لحظات، ثم نظرت إلى هذا الشيء الذي سقط فجأة، وأحسَّت بالضيق والألم عندما وجدتها حمامةً زرقاء ينزف الدم من جناحها وقد نامت على جانبها بلا حركة، وعيناها الصغيرتان ترمشان بسرعة.

سمعت «لوزة» صوت الأولاد عند سور الحديقة، فنظرت إليهم، وكانوا ثلاثة أولاد يحمل واحد منهم بندقية صيد، وقد وقفوا ينظرون إليها في انتظار ما ستفعل. وضعت «لوزة» «ترمس» الليمونادة جانبًا، ثم انحنت والتقطت الحمامة الجريحة التي كان جناحها ينزف دمًا، وأدركت على الفور أن هؤلاء الأولاد الأشقياء هم الذين أصابوا الحمامة.

صاح أحد الأولاد: هاتي الحمامة ... إننا الذين صدناها.

قالت «لوزة» بصوت غاضب: إنكم أشقياء! كيف تطاوعكم قلوبكم على قتل هذه الطيور البريئة؟!

قال ولد آخر: هاتي الحمامة ... ولا تلقي علينا درسًا في الأخلاق.

ردَّت «لوزة» بعنف: إنك لا تحتاج إلى دروس، إنك تحتاج إلى علقة ساخنة.

قال حامل البندقية وهو أطولهم: إذا لم تعطينا الحمامة فسوف ندخل الحديقة ونأخذها منك ... ونضربك أيضًا.

لوزة: أنت تضربني! إنك فارغ العقل إذا تصوَّرت أن هذه البندقية تحميك، وإذا لم تنصرف فورًا، فسوف آتي لأضربك قلمين.

قال ولد: هيا بنا نأخذ الحمامة منها، ونرى من الذي سيضرب الآخر.

وفوجئت «لوزة» بالأولاد يتجهون إلى باب الحديقة ويدخلون، وقد بدا الشر في عيونهم وأدركت أنها وقعت في مأزق، وأنها تسرَّعت عندما استفزت الأولاد بحديثها عن الضرب ... ولكن «لوزة» الشجاعة لم تُفكِّر في الهرب ... فليس بين المغامرين الخمسة أحد يخاف!

دخل الأولاد الحديقة، وظلَّت «لوزة» في مكانها تُفكِّر بسرعة ماذا تفعل والحمامة المسكينة تنزف! ... وأخذ الأولاد يقتربون ببطء في إصرار ... وقد بدا واضحًا أنهم سيُنفِّذون تهديدهم بضرب «لوزة» وأخذ الحمامة ... وفكَّرت «لوزة» أن تعطيهم الحمامة وينتهي الأمر ... ولكنها أحسَّت أن ذلك سيكون تراجعًا منها ...

اقترب الأولاد تمامًا ... وتقدَّم الولد الطويل من «لوزة» ومدَّ يده قائلًا: هاتي الحمامة ... فإنني لا أحب أن أضرب بنتًا صغيرةً مثلك.

قالت «لوزة» في شجاعة: لن تأخذ الحمامة وحاول أن تضربني!

في تلك اللحظة سمع الجميع صوتًا من النافذة ... كان صوت «عاطف» الذي جذبته الضجة التي تدور في الحديقة، وشاهد الأولاد وهم يقتربون من شقيقته.

قال «عاطف»: ابتعد أيها الصرصار ... وإلا!

قال الولد الطويل: ماذا ستفعل أنت الآخر؟

واختفى وجه «عاطف» من النافذة ... وبعد لحظات كان يجري في الحديقة متجهًا إلى الأولاد وصاح فيهم بغضب: اخرجوا فورًا وإلا سأضربكم جميعًا.

أحد الأولاد: أنت تضربنا! ... إنك جعجاع.

تقدَّم «عاطف» بسرعة من الولد ورفع يده ليضربه، وفي تلك اللحظة سمع الجميع صوت «محب» عند باب الحديقة يقول في هدوء: أرجو أن تترك لي هذه المهمة يا «عاطف» ...

ودخل «محب» وخلفه «نوسة» وكانا قد اتفقا مع «عاطف» على أن يمرَّا عليه ليذهب الجميع إلى «تختخ».

أحسَّت «لوزة» بفرحة قوية بعد أن حضر «عاطف» و«محب» و«نوسة»، واستعدَّت للاشتراك في المعركة فورًا، ولكن المعركة المنتظرة لم تقع فقد أسرع الأولاد الأشقياء إلى الانسحاب … وخرجوا من باب الحديقة جريًا.

ضحك «محب» وهو يتقدَّم من «لوزة» قائلًا: ماذا حدث؟ هل كنت على استعداد لمصارعة هؤلاء الأولاد؟

مدَّت «لوزة» يدها بالحمامة الجريحة، فالتفَّ حولها الأصدقاء، وشرحت لهم ما حدث في الدقائق السابقة على حضورهم، فقالت «نوسة»: يجب أن نُنقذ هذه الحمامة المسكينة؛ فلو ظلَّت تنزف فسوف تموت … هل عندك بعض الميكروكروم والقطن والشاش؟

لوزة: عندنا طبعًا في دولاب الإسعاف في الداخل.

وأسرع الأولاد جميعًا إلى الداخل، وأسرعت «لوزة» تُحضر أدوات الإسعاف، وتولَّت «نوسة» تنظيف الجرح، وربط جناح الحمامة بالشاش … ولكن لم يكن هذا كل شيء؛ فبينما كان الأصدقاء يُسعفون الحمامة الجميلة، وجدوا في ساقها شيئًا عجيبًا … كانت هناك أنبوبة من المعدِن الرقيق معلقة في ساق الحمامة … أنبوبة صغيرة لا تزيد على طول عود الكبريت، وإن كانت أكثر اتساعًا.

قالت «لوزة» مندهشة: ما هذا؟!

نوسة: لا أدري … فإنني لم أرَ شيئًا مماثلًا من قبل.

عاطف: يبدو أنها رسالة.

لوزة: رسالة؟!

محب: نعم … وهذه الحمامة من نوع الحمام الزاجل الذي ينقل الرسائل من مسافات بعيدة. ومن خصائص هذا الحمام أنه يعود دائمًا إلى المكان الذي تربَّى فيه، ويستطيع معرفة طريقه عبر مئات الكيلومترات.

نوسة: ولكن ذلك كان يحدث قبل انتشار البريد والتلغراف والتليفون … فلماذا يستخدم أحد حمامةً في حمل رسالة، ومن الأفضل أن يُرسلها عن طريق البريد؟

محب: فعلًا ذلك شيء يبعث على الدهشة؛ فقد كان الحمام الزاجل يُستخدم منذ ٣٠٠ أو ٤٠٠ سنة، خاصةً في الحروب لنقل الرسائل والتعليمات والخطط … ولكن ذلك انتهى منذ زمن بعيد.

عاطف: لعله أحد الهواة يُراسل صديقًا له بهذه الطريقة، أو هي أحد الأبحاث العلمية التي تُجرى بواسطة الحمام.

لوزة: أو أن هناك لغزًا وراء هذه الحمامة ... لغزًا أرسله الله لنا من السماء حتى لا تنتهي الإجازة دون أن نشترك في مغامرة أو في حل لغز.

ضحك الأصدقاء جميعًا على تعليق «لوزة» التي كانت ترى في كل شيء لغزًا يستحق الحل. وفي هذه الأثناء كان «محب» قد استطاع تخليص المشبك الذي كان يُمسك الرسالة إلى ساق الحمامة، ووجد أن الأنبوبة المعدِنية مُكوَّنة من جزءين أحدهما يدخل في الآخر، فجذب أحدهما، وأمام أنظار الجميع خرجت قطعة الورق الرفيع قد لُفَّت بعناية شديدة ووُضعت داخل الأنبوبة.

أمسك «محب» بالرسالة في يده وقال: ما رأيكم هل نفتحها؟

نوسة: أعتقد أن هذا لا يصح ... إنها رسالة من شخص إلى آخر ... ولا يصح أن يفتح الإنسان رسائل الآخرين.

عاطف: أرى أن نفتحها.

لوزة: افتحها ... فإذا كانت فيها أسرار ضارة بأحد فمن واجبنا أن نتدخَّل لحمايته ...

نوسة: وإذا كانت فيها أسرار خاصة ببعض الناس، فكيف تطَّلعون على أسرار الآخرين دون إذن منهم؟!

عاطف: لقد تأخَّرنا في الذهاب إلى «تختخ» وأخشى أن يقلق علينا، فهيا بنا إلى هناك، حتى يشترك معنا في الحديث.

أعاد «محب» وضع الرسالة مكانها في غلافها المعدِني، وقالت «لوزة» وهم يتَّجهون إلى الخارج: سآخذ الحمامة معي إلى «تختخ» فسوف يُسعده أن يعتني بها، خاصةً وأنه لا يغادر الفراش.

وأسرع الجميع خارجين إلى منزل «تختخ».

الرسالة السرية

كانت مفاجأةً لـ «تختخ» حضور الأصدقاء، ومعهم الحمامة، والقصة المثيرة عن الأولاد الثلاثة الذين كادوا يضربون «لوزة» لأنها منعتهم من الوصول إلى الحمامة ... والرسالة الموضوعة في غلاف المعدِن الرقيق المعلَّق في ساق الحمامة ... وعندما عرض عليه الأصدقاء الخلاف الذي بينهم عن فتح الرسالة جلس في فراشه، وأمسك الحمامة وقال: إنها حمامة من النوع الزاجل فعلًا، وهو عادةً أبيض أو أزرق، وحجمه أكبر من حجم الحمام العادي ... وهذه الحمامة تحتاج إلى رعاية سريعة فجناحها مكسور، ولا بد من وضعه في الجبس.

لوزة: هل نُجبِّس لها جناحها مثلما نُجبِّس ذراع إنسان؟

تختخ: بالضبط ... مع فارق الحجم طبعًا، ونحن نحتاج إلى جبيرة من عيدان الكبريت وبعض الجبس ... أرجو أن تذهب يا «محب» وتشتري لنا بقرش جبسًا من أقرب مكان، وتستطيع أخذ دراجتي.

أسرع «محب» لشراء الجبس، وأسرعت «لوزة» لإحضار علبة كبريت من المطبخ، وقالت «نوسة»: والآن ما رأيك يا «تختخ» هل نفتح الرسالة أم لا نفتحها؟

تختخ: أرى أن نفتح الرسالة ... فقد نعرف اسم المرسل إليه فنرسلها له؛ لأن هذه الحمامة لن تستطيع الطيران الآن، وستمضي مدة قبل أن تستطيع العودة إلى الطيران ... فإذا كان في الرسالة خبر عاجل شاركنا في تنفيذه، وإذا كان في الرسالة شر شاركنا في إيقافه.

وطلب «تختخ» من «عاطف» إحضار قفص العصافير الفارغ من الشرفة، فوضع فيه الحمامة بعد أن أخذ الرسالة، ووضعت «نوسة» للحمامة بعض الطعام والماء.

والتفَّ الأصدقاء حول «تختخ» الذي فتح الرسالة، فإذا بها من ورق أبيض رقيق، وقد كُتبت بقلم من الحبر الجاف ... وأخذ «تختخ» يقرأ الرسالة؛ فكانت أغرب ممَّا توقَّعوا جميعًا:

لم تظرف المعوت المكبرت، وأنا أعلم أنك ضربت الورق العريض وأنا مشلف، وليس معي فار مولع. فإذا لم تحصص الأبيج فسوف أخبر البزرجي ... ولا تنسَ إرسال البغبغان والمزنقرة على البطاطس، ولا تنسَ أن الشليه عندي.

المشنبت

أخذ الأصدقاء ينظرون إلى «تختخ» وهو ينظر إليهم في استغراب شديد؛ فقد كان ما سمعوه أقرب إلى اللغز أكثر من أي شيء آخر، برغم أنه مكتوب باللغة العربية.

ووصل «محب» في هذه اللحظة، ففوجئ بالأصدقاء وهم ينظرون إليه في بله شديد. قال «محب»: ماذا حدث؟ إن منظركم كمن وقعت عليه صاعقة!

عاطف: الحقيقة أنها صاعقة حقًّا، لقد فتحنا الرسالة وقرأناها فلم نفهم منها حرفًا واحدًا!

محب: لماذا؟ هل هي مكتوبة باللغة الصينية مثلًا؟!

عاطف: أبدًا ... باللغة العربية.

محب: إذن ما المشكلة؟

ودون أن ينطق «تختخ» أعطى الرسالة إلى «محب» وطلب منه أن يقرأها بصوت مرتفع هو الآخر.

أعاد «محب» قراءة الرسالة بصوت مرتفع، ومرةً أخرى تبادل الأصدقاء النظرات ... فهم جميعًا لم يفهموا حرفًا واحدًا منها!

وأخذ «تختخ» يُعد جبيرةً لجناح الحمامة المكسور، وفي نفس الوقت تبادل الأصدقاء الآراء حول الرسالة.

قال «عاطف»: برغم أنني لم أفهم شيئًا واضحًا في الرسالة، إلَّا أنه من الواضح أنها رسالة تهديد من المرسِل إلى المرسَل إليه، فهو يطلب منه أشياء معينةً إذا لم يُنفِّذها؛ فسيوقع به المرسِل عقابًا ما.

تختخ: هذا الاستنتاج صحيح. وهناك كلمات تدل عليه مثل: إذا لم ... فسوف أخبر، وهذا يُشبه أن نقول لشخص: إذا لم تُحضر ما أخذته فسوف أعاقبك، أو شيء من هذا القبيل.

لوزة: هذا معقول، ولكنه لا يؤدي إلى شيء. لقد فهمنا أن شخصًا يُهدِّد شخصًا آخر، ولكن من هو الأول، ومن هو الثاني؟

تختخ: من الصعب طبعًا الإجابة عن هذا السؤال.

لوزة: المهم، هل سنتدخَّل لحل اللغز؟

عاطف: هل اعتبرتيه لغزًا فورًا؟!

محب: طبعًا، إنه لغز لا شك فيه. لقد وصل إلينا من السماء، ولا يُمكن أن نتركه دون أن نحله.

عاطف: وكيف سنحل اللغز، وهذه رسالة مكتوبة بشفرة ما لا يفهمها أحد؟

لوزة: ما معنى شفرة يا «عاطف»؟

عاطف: معناها اتفاق على لغة مُعيَّنة لا يعرفها إلا المتعاملون بها.

لوزة: ألا يمكننا أن نحل هذه الشفرة؟

محب: هناك حل واحد.

نوسة: ما هو؟

محب: أن نتعرَّف على الشخص المرسَلة إليه الرسالة فيشرح لنا الحكاية.

لوزة: كيف نصل إليه؟

محب: ننتظر حتى تُشفى الحمامة، ثم نرسل له رسالةً نقول له إن الرسالة التي كانت مع الحمامة موجودة عندنا، وإذا أراد الحصول عليها فلْيتصل بنا.

تختخ: هذه فكرة طيبة جدًّا، وإن كانت ستأخذ وقتًا حتى تُشفى الحمامة.

لوزة: على كل حال ليس وراءنا شيء نفعله، والانتظار من أجل حل لغز خير من انتظار لا شيء.

عاطف: هناك شيء آخر ... إن في الرسالة كلمات نعرف معناها ... فهناك مثلًا كلمة «ورق عريض» ... «وفار مولع» ... و«البغبغان» ... و«البطاطس» ... فلماذا لا نحاول حل رموز الرسالة بهذه الكلمات المفهومة لنا؟

قال «تختخ» وهو يبتسم: ماذا يمكن أن تفهم من كلمة «فار مولع»؟

لم يستطِع «عاطف» الرد ... فماذا يمكن أن يعني كاتب الرسالة من «فار مولع»؟! ... شيء لا يمكن استنتاجه.

محب: ليس علينا سوى الانتظار حتى تُشفى الحمامة ... فنرسلها بالرسالة إلى الرجل المجهول لعله يحضر ... ويشرح لنا معناها.

لوزة: هناك شيء نسيناه؛ أن نتصل بالمفتش «سامي» لعل أجهزة البحث الجنائي تستطيع الوصول إلى حل هذه الشفرة العجيبة.

تختخ: للأسف إن المفتش «سامي» في إجازة في «مرسى مطروح»، ولن يعود قبل عشرة أيام.

عاطف: إذن ليس أمامنا إلا الانتظار حتى تُشفى الحمامة.

وهكذا أخذ الجميع يُعنَون بالحمامة يومًا بعد آخر ... وكانوا يجتمعون عند «تختخ» وحول سريره يتحدَّثون ويُحاولون حل شفرة الرسالة، ولكنهم لم يتقدَّموا، وظلَّت الكلمات العجيبة لغزًا لا يمكن حله.

في اليوم السابع، كانت الحمامة قد شُفيت تمامًا، فأعد الأصدقاء الرسالة التي سيُعلِّقونها في ساقها، وكتبها «عاطف» بخط واضح:

إلى الصديق المجهول الذي لا نعرفه ...

لقد سقطت هذه الحمامة المصابة في حديقة منزلنا، وقد وجدنا في ساقها رسالةً موجَّهةً إليك، ومعذرةً لأننا لم نستطِع مقاومة الإغراء ففتحنا الرسالة وقرأناها، ولم نفهم منها حرفًا واحدًا، فنرجو أن تتصل برقم ٢٤٣٧٥ وتطلب «عاطف»، وسوف نشرح لك عنوان البيت لتحضر وتتسلَّم الرسالة بعد أن تشرح لنا معناها.

ووضع الأصدقاء الرسالة في الغلاف الرقيق، ثم أطلقوا الحمامة بعد أن ودَّعوها وداعًا حارًّا.

بعد أن انطلقت الحمامة وحلَّقت في الجو قال «عاطف»: هل يُمكن معرفة متى تصل الحمامة إلى صاحبها، ومتى يتصل بنا؟

تختخ: في الحقيقة إن ذلك شيء صعب للغاية؛ فالحمام الزاجل يُمكن أن يعرف طريقه على بُعد ألف كيلومتر، ويُمكنه أن يطير ١٣ ساعةً بسرعة ٦٠ كيلومترًا في الساعة، ولعل هذه الحمامة قد جاءت من مسافة ألف كيلومتر أو تسعمائة أو مائتين أو خمسين، لا أحد يدري، ولعلها طارت ساعةً واحدةً أو خمس ساعات؛ فالمسألة لا يُمكن حسابها أبدًا.

نوسة: إذن مرة أخرى ليس أمامنا إلَّا الانتظار ... إن هذا اللغز يحتاج إلى صبر طويل.

وفي المساء غادر الأصدقاء منزل «تختخ» وعادوا إلى منازلهم في انتظار ما تأتي به الأيام أو الساعات القادمة.

مضى الليل دون أن يحدث شيء، وذهب الأصدقاء في الصباح إلى «تختخ»، حيث واصلوا الحديث عن اللغز ... وكان من رأي «محب» أن الأحداث سوف تتحرَّك سريعًا ... وقد كان محقًّا في حديثه.

المجهول يتحدَّث

في ذلك المساء تلقَّى «عاطف» المكالمة التليفونية المنتظرة من الرجل المجهول.

كان صوت الرجل خشنًا، وكان يسأل عن الرسالة، فشرح له «عاطف» ما حدث وسأله عن موعد حضوره، ولكن الرجل قال إنه لا يدري متى سيحضر، وإن كان سيحضر في وقت قريب بعد أن أخذ العنوان.

اتصل «عاطف» ببقية الأصدقاء تليفونيًّا وأخبرهم بما حدث، وقال إنه سيبقى في البيت فقد يحضر الرجل في أية لحظة.

مضى المساء دون أن يظهر الرجل، وأقبل الليل وكان «عاطف» و«لوزة» ينامان وحدهما؛ فقد سافر والدهما في رحلة، ولم يبقَ في البيت سواهما وخالتهما العجوز والشغَّالة.

ونام الجميع دون أن يُلاحظوا الرجل الذي كان يُراقب المنزل من الخارج ... ومضت ساعة وتحرَّك الرجل المجهول واقترب من المنزل، وبواسطة بعض الآلات استطاع أن يفتح نافذةً في الدور الأرضي، ثم أضاء مصباحًا كهربائيًّا وأخذ يتجوَّل في صمت في أنحاء المنزل الساكن. كان يبحث عن الرسالة الغامضة في كل مكان، ولكن الرسالة كانت مع «عاطف» في غرفة نومه. ولمَّا لم يجد المجهول شيئًا صعد بهدوء على السلَّم الداخلي للفيلا، وأخذ يسير محاذرًا حتى عثر على غرفة «عاطف»، فدخل ونظر حوله على ضوء المصباح باحثًا عن مكان الرسالة، ولكن كان من الواضح له أنه لن يعثر عليها دون أن يوقظ «عاطف»؛ وهكذا تقدَّم في هدوء وهزَّ «عاطف» الذي استيقظ على الفور وقد تملَّكته الدهشة ... وكم كانت مفاجأة له أن يجد الرجل أمامه! فلم ينطق بحرف وقال المجهول: لا بد أنك الولد الذي كلَّمني ... هاتِ الرسالة!

لم يردَّ «عاطف» لبضع لحظات، فكرَّر الرجل سؤاله في لهجة شديدة متوعِّدة: أين الرسالة؟

قال «عاطف»: من أنت؟

الشبح: ليس مهمًّا أن تعرف من أنا، المهم أين الرسالة؟

عاطف: إنني أريد أن أتأكَّد أنك صاحبها.

الشبح: لقد اتصلت بك هذا المساء وتحدَّثت إليك، وأنا صاحب الرسالة فأين هي؟

كان «عاطف» متأكِّدًا أن هذا الرجل هو صاحب الرسالة؛ فلا أحد يعلم أنها عنده إلا الأصدقاء والرجل الذي تحدَّث إليه في المساء، ولكن «عاطف» كان يُريد أن يكسب بعض الوقت للتفكير، إلَّا أن الرجل لم يُمهله وقال بغضب: لا تضيِّع وقتي. هاتِ الرسالة وأنصحك ألَّا تُحدِّث أي إنسان عنها أو عني، وإلَّا حدث لك ما لا تحبه!

لم يكن أمام «عاطف» شيئًا يفعله، وهكذا مد يده تحت مخدته، وأخرج الرسالة وسلَّمها إلى الرجل، الذي أخذ يقرؤها على ضوء البطارية التي يحملها، كان وجهه قريبًا من الضوء؛ فاستطاع «عاطف» أن يتأمَّله جيدًا … كان وجهه شديد السمرة، قاسي الملامح، وقد ضاع أحد حاجبيه تمامًا نتيجةً لجرح قديم.

طوى الرجل الرسالة ووضعها في جيبه ثم قال: مرةً أخرى أُحذِّرك من الحديث إلى أي إنسان عن هذه الرسالة … انسَها تمامًا وكأنك لم ترَها.

وكما دخل في صمت، اختفى من أمام «عاطف»، كأنه لم يكن … واستلقى «عاطف» في فراشه، وقد ارتفعت دقَّات قلبه، وأخذ يُفكِّر في اللحظات الماضية كأنها حلم ثقيل، ثم قام فأطفأ النور … كانت الساعة بعد منتصف الليل بقليل … ففكَّر فيما يفعل … هل يتصل بالشاويش «علي»؟ ولكن ماذا سيقول له؟ … إن الشاويش لن يُصدِّق طبعًا قصة الرسالة وما حدث فيها، وسيعتبر كل ما حدث لعب أطفال … هل يتصل بالمفتش «سامي»؟ إنه في إجازة … هل يتصل بـ «تختخ»؟ … إنه مريض في حاجة إلى الراحة، بالإضافة إلى أن الرجل قد اختفى ولن يستطيعوا عمل شيء في هذه الليلة … أفضل شيء أن ينتظر حتى الصباح.

مضت فترة طويلة قبل أن يتمكَّن «عاطف» من النوم مرةً أخرى، وكان قد نزل إلى الدور الأرضي واكتشف الطريقة التي دخل بها الرجل المنزل، وأغلق النافذة محاولًا قدر الإمكان ألَّا يمسح البصمات التي تصوَّر أن الرجل لا بد قد تركها وهو يحاول فتح النافذة.

تأخَّر «عاطف» في الاستيقاظ بعد أحداث الليلة الماضية، فأسرعت «لوزة» لإيقاظه فلم يقُل لها شيئًا في البداية، وبعد الإفطار انطلقا إلى «تختخ» حيث كان «محب» و«نوسة» قد سبقاهما إلى هناك.

قال «تختخ»: ألم يحضر الرجل لاستلام الرسالة؟

عاطف: نعم ... لقد حضر.

بدا الاهتمام على وجوه الأصدقاء جميعًا، وقالت «لوزة» مُعلِّقة: متى حضر؟ ... لقد نمنا معًا في الساعة العاشرة دون أن يظهر أحد ... هل حضر بعد ذلك؟ وهل عرفت منه لغز الرسالة؟

نظر إليها «عاطف» في ضيق وقال: لو انتظرت قليلًا لحصلت على الإجابة دون أن تسألي ... إنك متسرعة دائمًا.

محب: ماذا حدث؟ إنك تبدو عصبيًّا.

عاطف: لقد حضر الرجل ليلًا ... ودخل من النافذة، وحصل على الرسالة دون أن أتمكَّن من سؤاله ... على العكس؛ لقد حذَّرني من أن أذكر شيئًا عن الرسالة لأي شخص. وكان من الواضح أنه جاد في تهديده ... ونحن على كل حال لا نستطيع الحديث عن الرسالة ... فقد فقدناها، ولا أعتقد أن أحدًا منا يذكر ماذا كان فيها ...

قالت «لوزة» في انتصار: إنها عندي كاملة ... فقد نقلت صورةً طبق الأصل منها أمس عندما أخذتها معك إلى البيت ... فقد كنت أخشى أن نفقدها بشكل أو بآخر.

قال «تختخ» مبتسمًا: هكذا أنت دائمًا، لك شيء هام لا بد أن تفعليه في كل لغز.

نوسة: نُخطر الشاويش «علي» طبعًا.

عاطف: لقد فكَّرت في هذا ... ولكن هل يصدق الشاويش «علي» قصة الرسالة؟ وبفرض أنه صدَّقها، فما هي التهمة التي نوجِّهها للرجل المجهول؟ ... لقد أخذ رسالةً كانت موجَّهةً إليه ... فهو لم يسرق شيئًا إذن.

لوزة: ولكنه دخل بيتًا بطريقة غير مشروعة.

تختخ: هذا صحيح ... ولكن ما فائدة البحث عن رجل والقبض عليه من أجل أنه دخل بطريقة غير مشروعة؟

عاطف: هل يعني هذا أننا سنستمع إلى تحذير الرجل، ونكف عن الحديث عن الرسالة؟

لم يردَّ أحد على هذا السؤال فورًا، ثم قال «تختخ» بعد فترة: أقترح أن ننتظر عودة المفتش «سامي» من الإجازة ... وعندنا نص الرسالة الذي نقلته «لوزة»، وعندنا أوصاف الرجل المجهول الذي أخذ الرسالة. وأعتقد أن المفتش سيُصدق قصتنا ... وقد نجد حلًّا عنده لهذه الرسالة الغامضة.

لم يجد الأصدقاء أمامهم إلا الموافقة ... فلم يكن هنا شيء آخر يُمكن عمله إلَّا انتظار المفتش «سامي» ...

وقضى الأصدقاء اليومَين التاليَين حول فراش «تختخ» وكانت صحته قد بدأت تتحسَّن، وبدأ يخرج ليجلس معهم في الحديقة يتبادلون الأحاديث حول الرسالة الطائرة، ويُمارسون بعض الألعاب المسلية.

وفي اليوم الثالث اتصل المفتش تليفونيًّا ليُخطرهم بعودته، وليُطمئن على صحة «تختخ»، فقصَّ عليه «تختخ» تليفونيًّا حكاية الرسالة الطائرة وقال له: إنها رسالة عجيبة، مكتوبة باللغة العربية، ولكن دون أن يفهم أحد منها شيئًا.

المفتش: لقد كنت بسبيلي إلى زيارتك، وسوف أحضر غدًا لأراك وأطَّلع على الرسالة، فقد يكون وراءها سر كبير، خاصةً بعد هذه الزيارة الليلية التي قام بها الشخص المجهول لـ «عاطف». استعدوا إذن فقد تبدءون مغامرة!

ما هي المزنقرة؟

اجتمع الأصدقاء مبكِّرين في منزل «تختخ» انتظارًا لحضور المفتش، وفي التاسعة والنصف وصلت باقة جميلة من الورد تحيةً من المفتش لـ «تختخ» مع تمنياته بالشفاء. وفي العاشرة وصل المفتش، واستقبله الأصدقاء بالتحيات الحارة ... وبعد أن شرب فنجان القهوة، أخرج الأصدقاء الرسالة وقدَّموها للمفتش.

أخذ المفتش يقرأ الرسالة وعلى فمه ابتسامة تتسع شيئًا فشيئًا، في حين الأصدقاء يُركِّزون أنظارهم عليه، وقد ملأهم حب الاستطلاع لمعرفة سر ابتسامة المفتش الذي ما كاد ينتهي من قراءة الرسالة حتى التفت إليهم قائلًا: لقد حللت لغز الرسالة، وفي استطاعتي أن أقرأها لكم بلغة تفهمونها عدا كلمة أو كلمتين لا أعرف معناهما بالضبط.

زادت لهفة الأصدقاء عندما سمعوا حديث المفتش، وصاحت «لوزة»: إنك رجل مدهش ... لقد ظلِلنا بضعة أيام نحاول أن نفهم شيئًا دون جدوى.

المفتش: إن الرسالة مُوجَّهة من نشَّال إلى نشَّال آخر!

محب: هذه إذن لغة النشَّالين التي نسمع عنها.

المفتش: تمامًا، والرسالة تقول ... لم ترسل النقود، وأنا أعلم أنك نشلت أكثر من ١٠٠٠ جنيه، وأنا مفلس وليس معي ...

ثم توقَّف المفتش قليلًا: لا أدري معنى «الفار المولع» ... ولكن الرسالة بعد ذلك تقول: فإذا لم تُوزِّع النقود؛ فسوف أقول للمخبر ... ولا تنسَ إرسال الراديو الترانزستور ...

ومرةً أخرى توقَّف المفتش لحظات ثم مضى يقول: ولا أعرف معنى «المزنقرة» ... و«البطاطس» ... ولكن الرسالة تقول بعد ذلك ... «ولا تنسَ أن الذهب عندي» ... والإمضاء هو «أبو شنب».

تختخ: مدهش للغاية يا حضرة المفتش! ... وإذا قابلنا الكلمات بعضها ببعض فسيكون عندنا ... «تظرف» بمعنى تُرسل ... «المعدِن المكبرت» يعني النقود ... «الورق العريض» معناه ألف جنيه ... و«مشلف» يعني مفلس ... ولم نعرف معنى «الفار المولع» ... و«تحصص» ... يعني ترسل، و«الأبيج» بمعنى النقود، وهي كلمة أخرى للنقود. و«البزرجي» هو المخبر ... و«البغبغان» هو الراديو الترانزستور، ولم نعرف معنى «المزنقرة» ولا «البطاطس» ... وكلمة «شليه» بمعنى ذهب ... و«المشنبت» هو أبو شنب.

المفتش: هذه ترجمة مضبوطة لمعنى الكلمات ... إنك سريع الحفظ فعلًا يا «تختخ».

عاطف: ولكن ألا نستطيع أن نعرف بقية الكلمات؟

المفتش: من الممكن طبعًا، فسوف أتصل بضابط مكافحة النشل وهو يعرف هذه اللغة، وسوف نعرف منه بقية الكلمات.

وأحضر «محب» التليفون واتصل المفتش بالضابط «زكي» الذي قال إن كلمة «الفار المولع» معناها عقب سيجارة، وإن «المزنقرة» تعني الساعة، و«البطاطس» تعني جبل «المقطم».

ورأى الأولاد المفتش وهو يُبدي اهتمامًا غير عادي بحديث آخر كان يسمعه من الضابط «زكي»، وعندما وضع السماعة التفت إلى الأصدقاء قائلًا: لقد وقعتم على أثر واحد من أخطر النشَّالين واللصوص ... لقد نسيت قضية «أبو شنب» ولكن الضابط «زكي» ذكَّرني بها ... ف «أبو شنب» هذا كان نشَّالًا خطيرًا وله مدرسة للنشل تربَّى فيها عدد كبير من النشَّالين ... ثم سقط مرةً تحت الترام وأصيب بإصابات بالغة أدَّت إلى بتر ساقَيه وإحدى ذراعَيه؛ فلم يعُد يستطيع ممارسة النشل، وهكذا كوَّن عصابةً للسرقة يقودها من مكمنٍ لا أحد يعرفه، واستطاع أن يسرق محل أحد الصياغ ... وكان ضمن ما سرقه مجموعة من الحلي الذهبية النادرة تساوي أكثر من ٥٠ ألف جنيه ... بل هي نظرًا لقيمتها التاريخية لا تُقدَّر بثمن. ثم اختفى «أبو شنب» بهذه الثروة وفقدنا أثره منذ مدة طويلة ... وهذا أول أثر له بعد هذا الغياب الطويل.

سكت المفتش وأخذ الأصدقاء ينظرون إليه في انبهار؛ فقد ساقت لهم المصادفة قصةً مثيرة ... ولغزًا مشوِّقًا.

قالت «نوسة»: هل تقصد أن هذه الرسالة من عند «أبو شنب».

المفتش: طبعًا. إنه يُرسل هذه الرسالة إلى أحد أعوانه يطلب منه أن يُرسل له نقودًا وإلَّا أخبر الشرطة، ويُذكِّره أن الكنز الذهبي ما زال في حوزته.

عاطف: إذن فالرجل الذي زارني ليلًا ليس هو «أبو شنب» ولكن أحد أعوانه.

المفتش: بالضبط.

نوسة: وعندنا أثر هام لـ «أبو شنب»؛ هو أنه يسكن في جبل «المقطم».

المفتش: إنه أثر هام حقًّا ... ولكن «المقطم» جبل كبير ... والبحث عن شخص في جبل «المقطم» يشبه البحث عن إبرة في جبل من القش.

محب: إذن فالرجل الذي زار «عاطف» ليلًا هو الدليل الوحيد الذي يُمكننا أن نبدأ منه.

المفتش: صحيح.

لوزة: ولكن لماذا يستخدم «أبو شنب» الحمام الزاجل ولا يستخدم الخطابات العادية أو التليفون؟

المفتش: لأنه مختفٍ في مكان ليس فيه وسيلة للاتصال، وهو في نفس الوقت مقطوع الساقين لا يستطيع المشي ... وهو شديد الحذر أيضًا لأن الخطابات يُمكن قراءتها، وكذلك التليفون يمكن مراقبته، أمَّا الحمام فلن يتمكَّن أحد من متابعته، بل إن أحدًا لن يُفكِّر في أنه يُستخدم حاليًا في نقل الرسائل.

لوزة: وكيف تم تدريب الحمام على معرفة الطريق؟

المفتش: إن للحمام الزاجل حاسةً قويةً تُمكِّنه من معرفة عشه على بعد مئات الكيلومترات، والذي حدث أن الرجل المجهول ربَّى عددًا من هذا النوع من الحمام عنده ثم نقله إلى رئيس العصابة «أبو شنب» في الجبل، حيث يُرسل بواسطته الرسائل إلى الرجل المجهول ... وكلما أرسل كل الحمام الذي عنده وليكن عشرةً أو أكثر، أعادها الرجل المجهول إليه وهكذا.

نوسة: إنها فكرة شيطانية.

تختخ: فعلًا، وهي تدل على ذكاء خارق.

المفتش: للأسف إن عددًا كبيرًا من اللصوص يكونون من الأذكياء، ولكنهم يستخدمون ذكاءهم في فعل الشر، وليس في عمل الخير.

تختخ: فإذا استطعنا التوصُّل إلى الرجل المجهول ... ربما استطعنا عن طريقه أن نصل إلى رئيس العصابة.

المفتش: هذا ممكن حقًّا.

تختخ: في هذه الحالة سيكون «عاطف» هو أملنا في التعرُّف على الرجل المجهول الذي زاره ليلًا.

المفتش: من السهل التعرُّف عليه، فعندنا في قسم مكافحة النشل صور لكل النشَّالين في مصر ... فأغلب النشَّالين نقبض عليهم بضع مرات ... ولكنهم يخرجون من السجن عادةً إلى النشل مرةً أخرى.

وتناقش الأصدقاء والمفتش فترةً طويلة، وتم الاتفاق على أن يذهب «عاطف» مع المفتش إلى مديرية الأمن في القاهرة للاطلاع على صور النشَّالين ليتعرَّف على صورة الرجل المجهول الذي زاره ليلًا، فإذا لم يتعرَّف عليه تُنقل البصمات التي تركها على النافذة في منزل «عاطف».

وانصرف المفتش ومعه «عاطف»، وبقي الأصدقاء وحدهم. وفي الطريق إلى القاهرة قال المفتش لـ «عاطف»: هذه ثاني مرة نستعين بك «يا عاطف» للإمساك بأحد المشتبه فيهم، فهل تتذكَّر المرة الأولى؟

عاطف: بالطبع، لقد كان ذلك في لغز الوثائق السرية عندما أمسكني الجاسوس في مصر القديمة، واستطعت الإفلات منه!

ووصل الاثنان إلى مبنى مديرية الأمن في باب الخلق، واتجها إلى قسم مكافحة النشل حيث كان في استقبالهما الضابط «زكي» الذي أخذ يعرض على «عاطف» صور النشَّالين واحدًا واحدًا ... ولم يطل البحث ... فقد كانت الإصابة الواضحة فوق عينَيه تميِّزه عن باقي النشَّالين ... وسرعان ما أخرج «عاطف» صورته من بين مئات الصور التي عرضها الضابط «زكي» الذي لم يكد يرى الصورة حتى صاح: إنه «حمكشة» النشَّال الداهية ... وأخطر نشَّال بعد «أبو شنب».

عاطف: اسمه «حمكشة»؟!

ابتسم الضابط وهو يقول: نعم ... وهو يقوم بعمله في منطقة باب الحديد والظاهر ...

المفتش: وما هي خطتك الآن يا «زكي»؟ هل تقوم بالقبض على «حمكشة» واستجوابه؟

زكي: هذا ممكن طبعًا ... ولكنه سيُنكر أن له صلةً بـ «أبو شنب»، خاصةً وأن أخبار «أبو شنب» قد انقطعت منذ زمن طويل ... والحل الوحيد هو مراقبته ... لعله يذهب إلى «أبو شنب» أو يرسل أحد أعوانه؛ ومن هذا الطريق يُمكن القبض على رئيس العصابة.

عاطف: ولن يكون للمغامرين الخمسة دور في هذا اللغز.

المفتش: اتركوا هذا اللغز لنا، فسوف نصل إلى «أبو شنب» أسرع منكم!

وودَّع المفتش «عاطف» الذي أسرع إلى المعادي ليُخبر الأصدقاء بما حدث.

النشَّال الصغير

استمع الأصدقاء إلى أخبار «عاطف»، ثم بدءوا يتناقشون هل يتركون اللغز لرجال الشرطة أم يتدخَّلون؟ ... وكالعادة قرَّروا أخذ الأصوات ... وكانت أغلبية الأصوات في جانب أن يتدخَّلوا، وأن يُحاولوا حل اللغز عن طريقهم.

قال «تختخ»: إن طريقنا إلى حل اللغز يبدأ من نفس الطريق الذي سيبدأ به رجال الشرطة ... أي مراقبة «حمكشة» حتى يصل بنا إلى «أبو شنب» ... ولا يُمكن لأحد مراقبة «حمكشة» إلَّا «عاطف» لأنه هو الوحيد الذي رآه.

نوسة: ولكن «حمكشة» يُمكنه التعرُّف على «عاطف» فتفشل مهمتنا.

محب: ممكن أن أذهب مع «عاطف» إلى حيث يتردَّد «حمكشة» حيث أتعرف عليه ثم أتبعه بعد ذلك.

عاطف: إنني أُفضِّل أن أتابع أنا «حمكشة»، ولكن عليَّ أن أتنكَّر، وفي إمكان «تختخ» أن يُحوِّلني إلى ولد متشرِّد ... كما فعل هو في لغز «الأمير المخطوف»؛ حيث تنكَّر واستطاع أن يعرف مكان الأمير!

تختخ: وأين ستبحث عن «حمكشة»؟

عاطف: لقد قال الضابط «زكي» إنه يمارس نشاطه في باب الحديد والظاهر، وسوف أراقبه في هذه المنطقة.

وتفرَّق الأصدقاء على أن يلتقوا في صباح اليوم التالي. ونام «عاطف» وهو يحلم بالمغامرة المقبلة.

في صباح اليوم التالي اجتمع الأصدقاء مرةً أخرى، وجلس «عاطف» أمام «تختخ» في غرفة العمليات، وقام «تختخ» بعمله بسرعة وإتقان، ولم تمضِ سوى ربع ساعة حتى

تحوَّل «عاطف» الرقيق إلى ولد خشن المنظر ذي ملابس ممزَّقة، يضع على رأسه طاقيةً بالية، قد خرج منها شعره المنكوش كأنه لم يُمشِّطه طول عمره!

أبدى الأصدقاء إعجابهم بإتقان التنكُّر، ثم ودَّعوا «عاطف» الذي انطلق إلى المحطة في طريقه إلى القاهرة ليبدأ مغامرته، بعد أن اتفق مع الأصدقاء على الاتصال بهم تليفونيًّا كل يوم للاطمئنان، وإخطارهم عندما يرى «حمكشة» أو يحدث شيء جديد.

لم يستمتع «عاطف» طويلًا بمغامرته؛ فبعد ساعة واحدة تطوَّرت الأحداث تطوُّرًا سريعًا ... كان «عاطف» يقف على محطة الأتوبيس في باب الحديد يراقب حركة الراكبين والنازلين على أمل أن «حمكشة» بينهم ... وفجأةً شاهد رجلًا يركب الأتوبيس في الزحام الشديد، فقفز سريعًا خلفه، وسرعان ما اندس بين الركاب محاوِلًا الوصول إلى الرجل ليراقبه عن قرب ... وفجأةً مرةً أخرى في أثناء سير الأتوبيس في شارع رمسيس، ارتفع صراخ سيدة قائلة: لقد نُشلت! نقودي ... نقودي ... محفظتي ... نشلت!

وحدث هرج ومرج بين الركاب، وارتفعت الأصوات تطالب السائق بالتوقُّف، وزادت الحركة داخل الأتوبيس، ودون أن يتنبَّه أحد دار السائق دورةً واسعةً بجوار مستشفى السكة الحديد، واتجه إلى شارع الجلاء، وبعد لحظات كان يقف أمام قسم الأزبكية ... والسيدة تصرخ، والركاب يتحدَّثون بصوت مرتفع مردِّدين كلمة «نشال ... نشال».

وسرعان ما صعد الأتوبيس رجال الشرطة بقسم الأزبكية واحدًا واحدًا، وأخذ «عاطف» يُفكِّر فيما يفعل وينظر حوله ... وعلى أرض الأتوبيس شهد محفظةً مفتوحةً وقد أطلَّت منها الأوراق المالية، فلم يشك لحظةً في أنها محفظة السيدة، وأن النشال تخلَّص منها بإلقائها على الأرض قبل تفتيشه!

صاح «عاطف» بدون تفكير ... وقد نسي تنكُّره تمامًا: هذه المحفظة ... ثم أسرع إليها يرفعها من الأرض.

وفي تلك اللحظة أحس بيد ثقيلة تهبط على كتفه، وسمع صوتًا يقول: تعالَ هنا ... يا حرامي.

وقبل أن يُفيق «عاطف» من دهشته وجد نفسه مقتادًا بيد ثقيلة لشرطي ضخم إلى داخل القسم! وكان ضابط القسم قد احتجز بعض الركَّاب المشتبه فيهم، في حين صعد بقية الركاب إلى الأتوبيس الذي انطلق بهم في طريقه المعتاد.

كانت السيدة التي نُشلت تجلس أمام الضابط وهو يسألها الأسئلة التقليدية عن الحادث، وعن محتويات المحفظة، ولمَّا تأكَّد أنها محفظتها فعلًا سلَّمها لها بعد أن وقَّعت على المحضر ... وانصرفت بعد أن قالت إنها لا تشتبه في أحد من الموجودين ...

كان الثلاثة المحتجزون رجلَين وولدًا ... أخذوا ينظرون إلى «عاطف» في تأمُّل شديد، وكان مظهرهم يدل على أنهم نشَّالون محترفون، فقد كان الضابط ينادي اثنَين منهم بأسمائهم ... أمَّا الثالث فقد اتضح أنه عامل وليس له علاقة بالنشل؛ فأفرج عنه هو الآخر ... وبقي «عاطف» ورجل كان الضابط يُناديه باسم «الموس»، أمَّا الولد فكان اسمه «طرزان»، برغم أنه لم يكن ضخمًا ولا قويًّا، بل كان نحيفًا ... ولكن يبدو من شكله أنه سريع الحركة.

أخذ «الموس» و«طرزان» يُدافعان عن نفسَيهما بحرارة، ولكن الضابط ظل مُصِرًّا على إيداعها الحبس، ثم التفت إلى «عاطف» قائلًا: وأنت مع من فيهما؟

عاطف: إنني لست مع أحد ... ولا علاقة لي بهذا الحادث مطلقًا.

الضابط: ألست أنت الذي عثرت على النقود؟

عاطف: فعلًا ... ولكن ... أنا، أنا ...

وقبل أن يُتم «عاطف» جملته قال الضابط: طبعًا ستُنكر أنك نشلتها ولكن هذا الإنكار لن يُفيدك ... ثم نادى قائلًا: يا شاويش ... خذ هؤلاء الثلاثة إلى الحبس واعمل لهم فيش وتشبيه.

وفهم «عاطف» ما يعني استخراج فيش وتشبيه ... إن معناه الكشف عن سوابق المتهم، فالشرطة تحتفظ بصور وبصمات اللصوص جميعًا، حتى إذا وقع أحدهم استطاعوا معرفة ما قام به من السرقات ... وكم جريمةً ارتكبها.

جرَّ الشاويش الثلاثة إلى غرفة الحبس ... وكان ذهن «عاطف» يعمل بسرعة البرق، هل يطلب الاتصال بالمفتش «سامي» ليُخرجه من الحبس؟ أم ينتهز هذه الفرصة ليتعَّرف بعالم النشَّالين لعله يستطيع أن يصل إلى «حمكشة» ومنه إلى «أبو شنب». وقبل أن يصل إلى قرار كان باب الحبس قد فُتح، ودفعهم الشاويش إلى الداخل، ثم أغلق الباب وانصرف.

كانت غرفة الحبس ويُسمُّونها «التخشيبة» مظلمة، فلم يرَ «عاطف» شيئًا في البداية، وشيئًا فشيئًا اعتادت عيناه الظلام، ووجد نفسه وسط عدد من المقبوض عليهم ... لصوص ونشالين ومجرمين من كل طراز، وأحس «عاطف» بالخوف يتسلَّل إلى قلبه ... وهو بين هذه المجموعة من الأشرار، فظل واقفًا لا يدري ماذا يفعل، ثم رأي «طرزان» ينظر إليه، فاتجه ناحيته وجلس بجواره، فقال «طرزان»: إنك غريب عنا، فمن أين أنت؟ قال «عاطف» دون تفكير: من المعادي.

طرزان: إن سكان المعادي من الأغنياء، ومن السهل تنظيفهم في زحمة القطار ... لقد اشتغلت هناك فترة.

لم يردَّ «عاطف»، فعاد «طرزان» إلى الحديث: من المعلم الذي تسرح له؟

عاطف: أنا ليس لي معلم.

طرزان: أنت إذن سرِّيح؟

عاطف: تقريبًا ... ومع من تعمل أنت؟

طرزان: مع «الموس».

عاطف: وهل «الموس» هو المعلم الكبير؟

طرزان: لا المعلم الكبير «حمكشة».

لم يكد «عاطف» يسمع هذا الاسم حتى انتبه، وأحسَّ أن «طرزان» هذا سيقوده إلى «حمكشة» ... ولكن كيف؟

قرَّر «عاطف» أن يكتسب صداقة «طرزان»، وكان معه في جيوبه بعض الساندويتشات التي أعدتها له «لوزة»، فأخرجها وأعطى «طرزان» واحدًا، وقبل أن يضع الثاني على فمه امتدت يد بسرعة، وخطفت الساندويتش، وسمع ضحكات الموجودين عليه، وهو مفتوح الفم مستعدًّا لأكل الساندويتش.

لم يدرِ «عاطف» ماذا يفعل، ولكنه رأى «طرزان» يطير بسرعة ثم ينقض على الولد الذي خطف الساندويتش، ودار بينهما صراع، وارتفع الصراخ في التخشيبة، وإذا بالشاويش يدخل صارخًا ... ولكن قبل أن يرى شيئًا كان الجميع قد عادوا إلى أماكنهم كأن شيئًا لم يحدث ... ووقف الشاويش يسأل عن المتعاركين، ولكن الجميع أنكروا أن أي شيء قد حدث ... وهكذا خرج الشاويش وهو في أشد الضيق.

استطاع «طرزان» أن يستعيد الساندويتش، فأعطاه لـ «عاطف» قائلًا: خد بالك ... إنك في غابة وليس في بيتكم!

وقبض «عاطف» على الساندويتش بيدَيه حتى لا يُخطف منه مرةً أخرى، وانهمك في الأكل، ولكنه سمع الولد الذي بجواره يقول: أعطني لقمة ... إنني جائع!

ولم يتردَّد «عاطف»، فأعطاه نصف الساندويتش.

انتهى الطعام، وانهمك «عاطف» مع «طرزان» في حديث طويل استطاع خلاله أن يحصل على بعض المعلومات التي يُريدها عن «حمكشة»، إلَّا مكانه؛ فقد قال «طرزان» إن «حمكشة» لا يبقى في مكان واحد، بل إنه يتنقَّل من مكان إلى آخر طول الوقت خوفًا من القبض عليه، كما عرف أنه لم يعد ينشل بنفسه، بل يعتمد على عدد من النشَّالين الكبار والصغار يعملون لحسابه ... وعندما سأله «عاطف» عن «أبو شنب» قال إنه لا يعرفه مطلقًا، وإن كان قد سمع عنه.

قال «عاطف»: وهل أستطيع أن أنضم إلى عصابة «حمكشة»؟ إنني أشتغل وحيدًا وأحب أن أكون مع مجموعة.

طرزان: ممكن طبعًا، سأعطيك كلمة السر التي تستطيع أن تصل بها إلى «حمكشة» عن طريق بعض زملاء المهنة، وهم يتردَّدون على مقهًى في الظاهر ... ولكن كيف ستخرج من هنا؟

عاطف: ليس لي سوابق ... وأعتقد أنهم سيُفرجون عني.

طرزان: إن ذلك لن يتم قبل بضعة أيام، بعد استخراج الفيش والتشبيه والسؤال عنك في قسم مكافحة النشل.

أحس «عاطف» بقلبه يقع في قدمَيه، كيف يستطيع البقاء في هذا المكان بضعة أيام، وماذا سيفعل الأصدقاء في أثناء غيبته ... إنهم بالقطع سوف يقلقون عليه. وقبل أن يسترسل في أفكاره فُتح الباب، وأخذه الشاويش لعمل الفيش والتشبيه.

مورش باليه

كان في انتظار «عاطف» مفاجأة مفرحة، فلم يكد يخرج من باب التخشيبة ويسير قليلًا حتى فوجئ بالضابط «زكي» يسير أمامه … فلم يتمالك نفسه وصاح: أستاذ «زكي» … أستاذ «زكي» …

والتفت الضابط في دهشة، وأخذ ينظر إلى الولد المتشرِّد الذي يُناديه في ضيق، في حين الشاويش يجر «عاطف» من رقبته صائحًا: اسكت يا حمار … لماذا تنادي حضرة الضابط؟!

كاد «زكي» يستأنف سيره لولا أن «عاطف» صاح به: إنني صديق المفتش «سامي» الذي كنت معك أمس. أنا «عاطف» …

توقَّف الضابط عن السير واقترب من «عاطف» غير مصدِّق لما يسمعه، ثم أمر الشاويش أن يترك «عاطف» … الذي أسرع إلى «زكي» يهز يده في حرارة، فلم يكن يخطر بباله أن يجد إنقاذًا عاجلًا من الحبس بهذه الطريقة.

شرح «عاطف» للضابط «زكي» سر وجوده في هذا المكان، فقال «زكي»: شيء مدهش حقًّا! … إن المغامرين الخمسة كانوا أسرع من رجال الشرطة، وقد حضرت إلى قسم الأزبكية لأنني علمت أنهم قبضوا على ثلاثة نشالين، وقلت لعل «حمكشة» بينهم …

عاطف: لم يُقبض على «حمكشة»، ولكن هناك شخص يُشبهه حقًّا … وقد تعرَّفت في التخشيبة على ولد يُدعى «طرزان»، قال لي إنه سيدلنا على مكان «حمكشة» بواسطة بعض الأعوان.

زكي: هذا تقدُّم عظيم … فنحن نبحث عن «حمكشة» في كل مكان دون جدوى … ويبدو أنه اختفى أو ذهب إلى «أبو شنب» … وأنت الوحيد الذي يُمكن أن يدلنا على مكانه!

عاطف: سأعود إلى التخشيبة بعد استخراج الفيش والتشبيه، وأعرف كلمة السر من «طرزان» ... ولكن كيف أخرج من هناك؟

زكي: سأعود في المساء ... وأخرجك ...

وهكذا تم الاتفاق وسحب الشاويش «عاطف» وهو غير مصدِّق لهذه المقابلة العجيبة بين الضابط والولد المتشرِّد.

عاد «عاطف» إلى الحبس، وقد امتلأت نفسه بالآمال ... فسوف يتمكَّن عن طريق «طرزان» من متابعة «حمكشة»، وبعدها قد يستطيع الوصول إلى «أبو شنب».

استأنف «طرزان» الحديث مع «عاطف»، وظل «عاطف» يستمع إلى كل كلمة يقولها عن عصابة «حمكشة» بانتباهٍ شديد ... فكل كلمة يُمكن أن تكون مفيدةً في المغامرة المقبلة.

وأخيرًا قال «طرزان»: والآن ... هذه هي كلمة السر ... حاول أن تحفظها جيدًا ... مورش باليه يورشو.

ردَّ «عاطف» ببطء: يورش باليه ... يورشو.

طرزان: مورش باليه يورشو ... وليس يورش باليه ...

عاطف: مورش باليه يورشو ... مورش باليه يورشو ...

طرزان: هكذا ... لا تنسَ هذه الكلمات مطلقًا ... وعليك بالذهاب إلى شارع الظاهر، ستجد مقهًى صغيرًا اسمه مقهى «النجوم» ... اجلس هناك واطلب شاي كشري ... وقل للجرسون: مورش بالية يورشو ... وسوف يفهم كل شيء ...

أخذ «عاطف» يُردِّد الكلمات في سره حتى لا ينساها؛ فقد كانت تعني بالنسبة له وللأصدقاء ... بل لرجال الشرطة أنفسهم شيئًا هامًّا ... مضى اليوم ... والتخشيبة تستقبل أفواجًا من المقبوض عليهم ... ويخرج منها من يخرج إلى السجن أو للإفراج ... وجاء المساء ... وأخذ «عاطف» ينتظر «زكي» الذي لم يتأخَّر كثيرًا ... فقد أقبل الشاويش واستدعاه لمقابلة الضابط ... وأسرع «عاطف» يُودِّع «طرزان»، ثم غادر التخشيبة وقلبه يرقص فرحًا ...

استقبل «زكي» «عاطف» قائلًا: مرحبًا بالمغامر الذكي، هل حصلت على كلمة السر؟

عاطف: طبعًا ... إنها ... إنها ...

لقد طارت الكلمات من رأس «عاطف» ... طارت ... إنه كان يحفظها جيدًا ... ولكن ماذا حدث؟ ... ماذا حدث؟ إنها ... إنها ... ولكن ... إنه لا يتذكَّر ...

قال «زكي» متضايقًا: ماذا جرى؟ ... هل نسيت كلمة السر؟

عاطف: لقد ... لقد طارت ... إنها مور ... باليه.

زكي: مورش باليه ...؟

عاطف: بالضبط ... بالضبط ... كيف عرفتها؟

زكي: إنها من لغة النشَّالين أيضًا ... ومعناها الرجل المضمون ... هل هذا كل شيء؟

عاطف: لا ... هناك كلمة أخرى تشبه مورش ... إنها يورش ...

زكي: لا ... إنها يورشو ...

عاطف: تمامًا ... إنك مدهش ... ولكن ما معناها؟

زكي: معناها اتفق معه ... ومعنى الكلمات كلها ... الرجل مضمون اتفق معه.

وأخرج الضابط «زكي» ورقةً كتب فيها الكلمات وأعطاها لـ «عاطف» ... ثم أخذه في سيارته وانطلقا إلى المعادي، وفي الطريق قال «زكي»: إنني أعرف شجاعة المغامرين الخمسة ... ولكن ذهابك إلى «حمكشة» ليس مسألةً سهلة ... فقد يعرف الرجل الحقيقة فتصبح في خطر ...

عاطف: ولكن كيف سيعرف؟ ... إنني أملك كلمة السر ... وفي ثياب التنكُّر هذه يصعب التعرُّف على حقيقتي ...

زكي: على كل حال لا تذهب قبل أن تمر عليَّ في المكتب، إن في ذهني خطةً مُعيَّنة، نستطيع أن نُنفِّذها معًا.

وصل «عاطف» إلى منزل «تختخ»، ووجد الأصدقاء جميعًا هناك في غاية القلق؛ لأنه لم يتصل بهم طول النهار ... وبسرعة تخلَّص من تنكُّره وارتدى ثيابه العادية. وجلس «عاطف» يلتهم بعض المأكولات الساخنة والشاي، ويروي الأحداث التي مرَّت به طول النهار ... وهم يستمعون إليه في إعجاب ... وعندما وصل إلى كلمة السر ... وجد نفسه قد نسيها مرةً أخرى!

صاح الأصدقاء: مستحيل ... كيف تنسى كلمة السر؟ ... إن اللغز كله سيُحل بهذه الكلمة ...

توقَّف «عاطف» عن الطعام وأخذ يتذكَّر ... ويتذكَّر ... ولكنه لم يتذكَّر كلمة السر ... لقد تذكَّر أن الضابط «زكي» ... قد كتبها له في ورقة ... وبسرعة أخرج الورقة وقرأ الكلمات ... مورش باليه ... يورشو ... وبسرعة قالت «لوزة»: ما معنى هذا؟!

عاطف: حاولوا أن تعرفوا ...

تختخ: أعتقد أنها كلمات من لغة النشَّالين.

عاطف: بالضبط!

تختخ: في هذه الحالة لن نتمكَّن من معرفة معناها ...؟

نوسة: قل لنا ولا داعي للامتحان.

عاطف: معناها ... الرجل مضمون ... اتفق معه.

وبسرع أخرج «تختخ» دفتر مذكراته الصغير، وكتب الكلمات قائلًا: لقد أصبح عندنا عدد لا بأس به من الكلمات.

محب (ضاحكًا): في إمكاننا أن نشتغل بالنشل الآن.

وضحك الأصدقاء جميعًا للنكتة، وقال «تختخ»: هناك حديث يقول: من عرف لغة قوم أمن شرهم ... ونحن الآن نعرف بعض لغة النشَّالين ويُمكننا أن نتقي شرهم.

محب: عندما تنتهي هذه المغامرة سوف أطلب من الضابط «زكي» أن يُعلِّمني بقية اللغة، حتى إذا وقعنا على لغز آخر للنشَّالين استطعنا حلَّه سريعًا.

تختخ: هذه فكرة ممتازة حقًّا.

قضى الأصدقاء بعض الوقت معًا ثم تفرَّقوا على أن يعودوا للاجتماع في صباح اليوم التالي، حيث يعود «عاطف» إلى التنكُّر مرةً أخرى.

حضر «عاطف» في الصباح مع بقية الأصدقاء، وقام «تختخ» بعمل التنكُّر المتقن، وتحوَّل «عاطف» في دقائق إلى ولد متشرِّد مرةً أخرى، واتفقوا على أن يتصل «عاطف» تليفونيًّا كلما تمكَّن، ثم انطلق إلى المحطة ومنها أخذ القطار إلى القاهرة، ثم إلى مديرية الأمن حيث التقى بالضابط «زكي».

كان «زكي» يجلس ومعه أحد المخبرين، وعندما رأى «عاطف» قال: هذا هو المغامر الصغير ... ولكن مغامرته سوف تنتهي الآن!

قال «عاطف»: لماذا؟!

زكي: سيقوم المخبر «عوضين» بدورك، ويحمل كلمة السر إلى «حمكشة»، حيث يستطيع أن يتبعه أفضل منك، فإني أخشى أن تُعرِّض نفسك للخطر.

أحسَّ «عاطف» بالضيق وقال: ولكن هناك شيء نسيته ... فلعل «حمكشة» قد اتصل «بطرزان» وعرف منه حكايتي ... وأن الذي سيأتي إليه ولد صغير ... وليس رجلًا كبيرًا ... كما أن هؤلاء النشَّالين يستطيعون معرفة المخبرين من غيرهم.

فكَّر «زكي» لحظات ثم قال: معك حق، ولكني في الحقيقة أخاف عليك من هذه المغامرة ... ولكن ما دمت مُصِرًّا، فسوف أعطيك جهازًا لا سلكيًّا صغيرًا تستطيع أن

تخفيه تحت ملابسك ... وهذا الجهاز يُطلق موجات لا سلكية في دائرة ثلاثة كيلومترات ... ونستطيع عن طريقه أن نتابعك، حتى إذا حدث شيء غير عادي، استطعنا الوصول إليك سريعًا.

ثم قام الضابط إلى دولاب في حجرته، فأخرج جهازًا صغيرًا في حجم علبة الكبريت وبه شريط رفيع ربطه في رقبة «عاطف»: إن فيه بطاريات تكفي لمدة يومَين فقط ... وبعدها ينقطع الإرسال ... فعليك مراعاة ألَّا تتأخَّر عن هذا الموعد، وسوف يكون رجالنا قريبين منك ... وسوف أُخطر المفتش «سامي» بكل شيء...

وودَّع الضابط المغامر الصغير حتى الباب، ثم خرج «عاطف» متجهًا إلى مقهى «النجوم» كما وصفه له «طرزان».

ركب الترام رقم ٣ الذي سار عبر باب الحديد إلى شارع الظاهر ... وبعد دقائق كان قد وصل إلى تقاطع الشارع مع شارع بورسعيد، فنزل «عاطف» عند أقرب محطة، وأخذ يبحث حوله حتى عثر على المقهى.

كان مقهًى صغيرًا مُكوَّنًا من غرفة واحدة، يجلس أمامها بعض الناس يشربون «الجوزة» والشاي ويلعبون الطاولة، فمر «عاطف» بالمقهى سريعًا يرقبه، ثم عاد بعد قليل واتجه إلى الداخل.

كان جرسون المقهى شابًّا رفيعًا منكوش الشعر، يمشي في تكاسل ويرد على طلبات الزبائن في لامبالاة، فاختار «عاطف» كرسيًّا قريبًا من الناصية حيث يتم إعداد الطلبات، وانتظر حتى مرَّ به الجرسون الذي يُناديه الجميع باسم «حسن»، وطلب منه كوبًا من الشاي.

طلب «حسن» الشاي ووقف ينتظره حتى أُعِد، ثم حمله إلى «عاطف» وانحنى ليضعه أمامه، وكان على «عاطف» أن ينتهز هذه الفرصة ليقول له كلمة السر ولكنه نسيها ... وأخذ يتذكَّر ويتذكَّر ولكن بلا جدوى، وانصرف الجرسون وضاعت الفرصة!

كاد «عاطف» يُجن لضياع الفرصة، وعبثًا حاول أن يتذكَّر كلمة السر ... ولم يكن أمامه إلَّا أن يُخرج الورقة ليقرأ الكلمات فيها، فأخذ ينظر حوله حتى يطمئن أن أحدًا لا يراه، ثم مدَّ يده وأخرج الورقة بسرعة، وقبل أن يفتحها كان قد تذكَّر الكلمات؛ مورش باليه يورش ... فأعاد الورقة إلى جيبه، وأخذ يُردِّد الكلمات: مورش باليه ... يورشو ... مورش باليه ... يورشو، وشرب الشاي بسرعة ... وهو يُردِّد الكلمات، ونادى الجرسون باسمه فجاء ... وانحنى ليحمل الكوب الفارغ فهمس «عاطف» في أذنه: مورش باليه يورشو.

انتظر «عاطف» أن يتحدَّث «حسن» أو حتى يُبدي اهتمامًا، ولكن «حسن» حمل الكوب الفارغ والنقود، وانصرف وكأنه لم يسمع شيئًا، وظلَّ «عاطف» جالسًا وقد أذهلته المفاجأة! لقد قال كلمة السر ... ولكن شيئًا لم يحدث ... فماذا يفعل الآن؟

ظلَّ جالسًا في مكانه يُراقب «حسن» الذي استمر في عمله كأنه لم يحدث شيء على الإطلاق ... يخرج من المقهى إلى الشارع ... ويعود ... ويمر بـ «عاطف» دون أن يبادله كلمةً واحدة ... أو حتى نظرة ...

وتذكَّر «عاطف» جهاز اللاسلكي ... هل هو واضح بحيث يراه «حسن»؟ ... وهل سيعرف «حسن» إذا كان جهاز اللاسلكي أو أي شيء آخر؟ ومد يده إلى صدره ... وتأكَّد أن الجهاز مختفٍ تحت الثياب ... وعاودته الشكوك من جديد هل هو متبوع منذ خروجه من القسم؟ هل رآه أحد من رجال العصابة وتبعه إلى هنا ...؟

أسئلة كثيرة لم يكن يملك عليها إجابة ... وكلما مضى الوقت أحسَّ أنه وقع في مشكلة لا حل لها.

ماذا حدث؟

ظلَّ «عاطف» جالسًا لا يدري ماذا يفعل ... ثم مرَّ «حسن» بجواره ودون أن ينظر إليه قال: «اخلع»!

كانت مصيبةً جديدةً بالنسبة لـ «عاطف»؛ فماذا يقصد «حسن» بكلمة «اخلع»؟!

هل يخلع ثيابه مثلًا؟ ... لماذا؟ هل يشكون في جهاز اللاسلكي؟! وحتى لو كانوا يشكون ... فهل معنى هذا أن يخلع ثيابه هكذا أمام الناس؟! غير معقول! لا بد أن «اخلع» هذه لها معنًى آخر، ولكن ما هو معناها؟!

أحسَّ «عاطف» بالدنيا تدور به ... فقد وقع في مأزق كبير ... ولن ينفعه جهاز اللاسلكي ولا أي شيء آخر ... والحل الوحيد أن يخرج فورًا من هذا المكان ويذهب إلى الضابط «زكي» ... ويعطيه الجهاز ثم يعود سريعًا إلى المعادي ويكف عن التدخُّل في هذه المغامرة المتعبة!

مرةً أخرى مرَّ «حسن» بجواره وقال بصوت خافت: اخلع. ومرةً أخرى دخل «عاطف» في دُوامة التفكير، وقرَّر في النهاية أن يمشي فورًا، وفعلًا قام واقفًا، ثم اندفع من المقهى، وسار في طريقه وقد أحسَّ بالارتياح لأنه تخلَّص من المأزق السخيف ... ولكنه لم يكد يبتعد خطوات من المقهى حتى شعر بيد توضع على كتفه فارتجف ... ونظر إلى صاحب اليد فوجد ولدًا أكبر منه قليلًا ... متشردًا مثله ينظر إليه مبتسمًا وهو يقول: لماذا تأخرت في الخروج؟ ألم يقل لك «حسن» «اخلع» منذ فترة؟

فكَّر «عاطف» بسرعة وعرف كل شيء ... فكلمة «اخلع» معناها «اخرج» ... وقد خرج ليس لأنه فهمها، ولكن ليكف عن الاشتراك في المغامرة كلها ... لقد نفَّذ تعليمات العصابة دون أن يدري!

ومضى الولد يقول: اسمي «لعبة». فما اسمك؟

ردَّ «عاطف» بسرعة: «زنجر».

إنه أول اسم خطر على باله، اسم كلبهم العزيز … الذي يجلس الآن في ظل أشجار الحديقة لا يدري أن أحد المغامرين الخمسة يلعب دورًا خطيرًا.

قال «لعبة»: من الذي أرسلك؟

عاطف: «طرزان» … لقد قُبض علينا معًا في باب الحديد، ووُضعنا في تخشيبة قسم الأزبكية.

لعبة: ولماذا أفرج عنك؟

عاطف: ليس لي سوابق.

لعبة: أنت إذن في الكار جديد؟

عاطف: نعم.

لعبة: وماذا تريد بالضبط؟

عاطف: أريد أن أنضم إلى «حمكشة».

مضى بعض الوقت، وهما يسيران في صمت ثم قال فجأة: هل هناك «بزرجي» يتبعك؟ … إنني أُحس أن هناك «بزرجيًّا» خلفنا.

تذكَّر «عاطف» كلمة «بزرجي» التي كانت في الرسالة ومعناها مخبر … فقال: لا أعرف … ولكن لماذا يتبعني «بزرجي»؟

لعبة: إنني أعرف «البزرجية» من بعيد … بل أشم رائحتهم، ونحن متبوعان من «بزرجي»، ولا بد أن نتصرَّف سريعًا.

أدرك «عاطف» أن «لعبة» على حق … فلا بد أن رجال الشرطة يتبعونهما بواسطة جهاز اللاسلكي … فماذا يفعل الآن؟

قال «عاطف» وكأنه نشَّال قديم: تعالَ نقفز إلى الترام سريعًا. إنهم لن يلحقا بنا، وأنا أسمع صوت الترام قادمًا.

قال «لعبة»: هيا بنا!

واقترب الترام … وأسرع الولدان يقفزان فيه، وبهذا تخلَّصا من المطاردة كما ظن «لعبة»، ولكن «عاطف» كان يعلم أن اللاسلكي يستطيع الإرسال إلى مسافة ٣ كيلومترات، فهما على كل حال تحت رقابة الشرطة.

قال «لعبة» والترام يقترب من باب الحديد: إن «حمكشة» قد ذهب إلى «حلوان» في زيارة … وسوف أذهب إليه، فهل تأتي معي أم تنتظر؟

ردَّ «عاطف» سريعًا: بل آتي معك.

وهكذا انطلق الولدان إلى محطة «باب اللوق» ليركبا القطار إلى «حلوان»، وبعد دقائق يركبان معًا القطار، فقال «لعبة»: بدلًا من إضاعة وقتنا في الجلوس حتى «حلوان» ... تعالَ نسرح سرحةً داخل القطار لعلنا نستطيع نشل محفظة فإنني مفلس وجوعان ...

لم يكن أمام «عاطف» إلا الموافقة ولكنه قال: من الأفضل أن نفترق ويُجرِّب كلٌّ منا مهاراته.

لعبة: هل تتحداني؟

عاطف: أبدًا ... مجرد تجرِبة.

لعبة: إذا حدث وتهنا عن بعضنا فسوف أنتظرك عند المقهى التي أمام محطة «حلوان» ... فقد نُضطر أو يُضطر أحدنا إلى القفز من القطار في إحدى المحطات.

عاطف: هذا معقول جدًّا.

وهكذا افترقا ... فترك «لعبة» العربة التي كانا بها، وانطلق يُجرِّب حظه في العربة التالية ... أمَّا «عاطف» فحتى لا يُثير شك «لعبة»؛ فقد مضى يمشي في طرقات القطار ... وإذا به أمام المخبر الذي رآه عند الضابط «زكي» ومعه رجل آخر، كان من الواضح أنه أحد الضباط ولكن في ملابس عادية.

تأكَّد «عاطف» أنهما ما زالا متبوعَين من رجال الشرطة ... وكان القطار ساعتها يقترب من المعادي ... وأحسَّ «عاطف» أنه يُريد أن ينزل فورًا ويعود إلى الأصدقاء، ولكنه اكتفى بأن اقترب من نافذة القطار وهو يتوقَّف في المحطة ... وكم كانت مفاجأةً مثيرةً أن يرى «محب» ... عند بائع الجرائد يشتري بعض المجلات، فلم يتمالك نفسه وصاح: «محب» ... «محب».

التفت «محب» ناحية النداء، وعرف «عاطف» على الفور، فأسرع إليه، وفي كلمات سريعة شرح «عاطف» لـ «محب» الأحداث التي مضت، وقال له إنه ذاهب إلى «حلوان» ... ثم انطلق القطار.

وقف «محب» لحظات، ثم أسرع يركب دراجته إلى منزل «تختخ» حيث كان الأصدقاء مجتمعين، وشرح لهم وهو يلهث مقابلته المفاجئة مع «عاطف»، وما دار بينهما من حديث، فقال «تختخ»: إذا كان «حمكشة» ... في «حلوان» ... فقد ذهب لمقابلة «أبو شنب».

نوسة: ولكن «أبو شنب» كما فهمنا من رسالته يعيش في «المقطم».

تختخ: هذا صحيح ... ولكن جبل «المقطم» يُحيط بالقاهرة، ويمتد إلى «حلوان» وما بعد «حلوان» ... على كل حال لن نخسر شيئًا إذا تدخَّلنا ... ف «عاطف» مقبل على مغامرة مخيفة.

محب: ما رأيكم أن نتصل بالمفتش «سامي»؟

لوزة: هذه فكرة ممتازة.

وأسرع «تختخ» إلى التليفون واتصل بالمفتش «سامي»، وشرح له ما حدث، فقال المفتش: إن هناك سيارة لا سلكي تتبع القطار وبها قوة من رجالنا ... وسأتصل بهم لا سلكيًّا ليُساعدوكم إذا لزم الأمر ... وسأصل أنا أيضًا ... إن الوصول إلى «أبو شنب» وإعادة الذهب عمل هام جدًّا بالنسبة لي ولرجالي ... اذهبوا أنتم إلى «حلوان» وستنتظركم السيارة قرب المحطة.

أسرع الأصدقاء إلى دراجاتهم ... كان «تختخ» ما زال متعبًا من أثر المرض، ولكنه أصر على أن يشترك في المغامرة ... وهكذا انطلق الأصدقاء الأربعة على دراجاتهم ومعهم «زنجر» ... الذي قبع في سلته خلف «تختخ» سعيدًا بهذه النزهة غير المتوقعة.

وصل الأصدقاء إلى «حلوان» ووجدوا سيارة اللاسلكي تنتظرهم. كان بها عدد من أمناء الشرطة ... وهم رجال الشرطة الجدد ذوو الملابس الزرقاء الأنيقة، الذين يحملون أجهزة اللاسلكي اليدوية.

تقدَّم «تختخ» من السيارة وقدَّم نفسه والأصدقاء إلى رجالها، فقال أحدهم: إن صديقكم على بُعد أقل من نصف كيلومتر ... وجهاز اللاسلكي يُبيِّن هذا ... لقد مضت فترة طويلة وهو يقف في نفس مكانه لم يغادره.

وفي تلك الأثناء كان «عاطف» ... يجلس وحيدًا على المقهى القريب من ميدان المحطة في انتظار ظهور «لعبة» الذي غاب ... ولكن غياب «لعبة» لم يطُل، لقد ظهر فجأةً أمام «عاطف» وقال: لقد قابلت «حمكشة» وهو لا يستطيع مقابلتك اليوم؛ فمعه تاجر سيشتري منه بضاعةً ذات قيمة كبيرة.

قال «عاطف» ببساطة: اجلس نشرب الشاي معًا ... هل وُفِّقت في القطار؟

لعبة: طبعًا ... ولكن الرجل الذي نشلته كان فقيرًا، فلم أجد في حافظته سوى نصف ذاهوب فقط.

قال «عاطف» في نفسه: نصف ذاهوب ... ما معنى ذاهوب؟ ... إنها كلمة أخرى من تلك اللغة الغريبة.

جاء الشاي فقال «عاطف»: لا بد أن «حمكشة» سيبيع «الشليه» الذي عند «أبو شنب».

لقد تذكَّر «عاطف» كلمة «شليه» بمعنى ذهب التي قرأها في الرسالة ... وكان سعيدًا لأنه تذكَّرها فهو كثير النسيان.

لم يكد «لعبة» يسمع كلمة «شليه» وكلمة «أبو شنب» حتى هبَّ واقفًا كأنما لسعة عقرب وقال: هل تعرف حكاية «الشليه» و«أبو شنب»؟!

ردَّ «عاطف» بهدوء وإن كان قلبه يدق بسرعة: طبعًا ... إنني جئت لمقابلة «حمكشة» من أجل «الشليه».

فكَّر «لعبة» بسرعة ثم قال: تعالَ معي حالًا ... فسيهتم «حمكشة» بهذه الحكاية جدًّا ... تعالَ بسرعة!

وتركا الشاي دون أن يشرباه، ولكن «عاطف» لم ينسَ أن يدفع الحساب. وانطلق الولدان ... فتحرَّك مؤشر اللاسلكي في السيارة، فقال أمين الشرطة: لقد تحرَّك صاحبكم الآن.

وبدأت السيارة تتحرَّك ... ومن بعيد سار الأولاد وهم يركبون دراجاتهم وقد استهوتهم هذه المغامرة التي يُستخدم فيها جهاز اللاسلكي ... فهذه أول مرة يعرفون هذه الحكاية.

سار «عاطف» ... و«لعبة» في شوارع «حلوان» الساكنة بسرعة ولم يُحسَّا أنهما متبوعان ... وظل جهاز اللاسلكي الصغير يُرسل الإشارات ... وجهاز اللاسلكي الكبير يتلقَّى ... والمطاردة مستمرة.

أخيرًا وبعد مسيرة طويلة، وصلا إلى منزلٍ على طرف الجبل مختفٍ خلف الصخور ... فقال «لعبة»: انتظر هنا قليلًا حتى أدخل وأُخبر «حمكشة» وأري ما سيقول.

جلس «عاطف» وحيدًا ... وأخذ ينظر هنا وهناك يرى من يتبعه، ولكن سيارة اللاسلكي كانت تقف بعيدًا حتى لا يراها أحد ...

وبعد فترة خرج «لعبة» وقال: تعالَ ... إن «حمكشة» سيراك فورًا. اتجه الولدان إلى المنزل، ودقَّ «لعبة» الباب دقَّات مُعيَّنة ... ففتح ودخلا في هدوء إلى صالة مظلمة، لم يكن يرى فيها «عاطف» شيئًا فقد فاجأه الظلام.

فجأةً أُضيء مصباح كهربائي قوي وسُلِّط على «عاطف»؛ فأعشى عينَيه، ومضت لحظات ثم سمع صوتًا يقول: أنت؟!

ثم أُضيء نور الغرفة ورأى «عاطف» «حمكشة» ومعه رجل آخر يحمل حقيبة ... وقبل أن يدري «عاطف» ماذا حدث انقض عليه «حمكشة» صائحًا: إذن فهو أنت ... لقد استطعت معرفة ما في الرسالة ... ولا بد أن الشرطة تتبعنا الآن ... هل تظن أنك تخدعني بهذا التنكُّر ... إنني أتذكرك جيدًا.

أمسك «حمكشة» برقبة «عاطف» فمسَّت يده جهاز اللاسلكي الصغير، فلم يتردَّد ومزَّق القميص، ثم نزع الجهاز صائحًا: إن الشرطة تُحيط بنا … سوف أقتلك أيها الجاسوس.

ولكن الرجل الذي كان يحمل الحقيبة تقدَّم بهدوء قائلًا: فكِّر قليلًا يا «حمكشة» وأرني هذا الجهاز.

مسك الرجل بجهاز اللاسلكي ثم قال: هذا جهاز إرسال صغير … لقد رأيت مثله وأنا في أوروبا … إن رجال الشرطة يستخدمونه هناك كثيرًا.

كان الرجل الذي يحمل الحقيبة أنيقًا … وكان من الواضح أنه مُهرِّب كبير جاء لشراء كنز الذهب الأثري.

قال «حمكشة» هائجًا: ماذا نفعل الآن؟ إن «أبو شنب» في انتظارنا، والشرطة تتبعنا!

قال الرجل: المسألة سهلة … سنُضلِّل رجال الشرطة ونمضي في طريقنا … هل تثق في هذا الولد؟ وأشار إلى «لعبة»، فردَّ «حمكشة»: «لعبة»؟ طبعًا … إنه من أخلص أعواني …

الرجل: سنترك الشرطة تقبض على «لعبة» هذا، ونتجه نحن إلى «أبو شنب» فليس عندي وقت أُضيِّعه … وقد حجزت مكانًا على الطائرة المسافرة إلى «روما» الليلة.

حمكشة: ما هي خطتك؟

الرجل: إن رجال الشرطة يسيرون خلف هذا الجهاز … وسيحمله «لعبة» ويمضي به سريعًا … وليأخذ أي اتجاه عدا اتجاهنا طبعًا، وسوف يتعقَّبه رجال الشرطة، وقد يقبضون عليه أو لا يقبضون … وفي إمكانه بعد أن يهبط الليل وأسافر أن يُحطِّم الجهاز ويختفي … المهم أن يمشي به بعيدًا — نحو القاهرة مثلًا — حتى تتبعه الشرطة.

أخذ «حمكشة» الجهاز فسلَّمه إلى «لعبة» وأعطاه بضعة جنيهات ثم قال له: لقد سمعت التعليمات وعليك أن تُنفِّذها بدقة … وفي إمكانك أن تسافر إلى بنها مثلًا حتى تُبعد عنا رجال الشرطة بمسافة بعيدة. أخذ «لعبة» الجهاز وبدأ ينصرف، ولكنه التفت إلى «حمكشة» قائلًا: وماذا ستفعل في هذا الولد؟

نظر «حمكشة» إلى «عاطف» نظرةً مرعبةً ثم قال: سآخذه معي إلى «أبو شنب» ونتخلَّص منه في المغارة هناك.

خرج «لعبة» واتجه سريعا إلى قلب «حلوان» مرةً أخرى، وفي تلك الأثناء كان الأصدقاء قد تقدَّموا ناحية الجبل وقد أصابهم القلق … واستطاعوا من بعيد أن يُشاهدوا «لعبة» وهو يُغادر المنزل … أمَّا سيارة اللاسلكي فقد تحرَّكت مسرعةً حسب إشارات الجهاز.

وقف «تختخ» والأصدقاء يتناقشون، فقال «محب»: ما معنى أن يخرج «لعبة» وحده ولا يخرج «عاطف»؟ إنها مسألة مقلقة.

تختخ: فعلًا ... وعلينا أن ننتظر هنا ... فلن نتحرَّك ما دام «عاطف» في الداخل.

ظن الأصدقاء أن سيارة اللاسلكي ما زالت في مكانها ... ولم يتصوَّروا أنها تحرَّكت خلف «لعبة». ومضى الوقت ... وكان «حمكشة» والتاجر ينتظران مُضِي أطول مدة ممكنة حتى يبتعد «لعبة» ويبتعد خلفه رجال الشرطة ... وبعد نحو ساعة خرج الثلاثة «حمكشة» والتاجر و«عاطف»، فأسرع الأصدقاء لإبلاغ رجال الشرطة ... ولكنهم لم يجدوا السيارة، فقد اختفت تمامًا.

قال «تختخ»: هناك شيء غير مفهوم في هذه العملية ... ولكن الأفضل أن نتتبَّع «عاطف»؛ فإنني أُحس أنه في خطر ... وعلى كل حال فإن معنا جهاز اللاسلكي الخاص بنا.

التفت الأصدقاء إليه في دهشة فأشار إلى «زنجر» قائلًا: لا تنسَوا أن «زنجر» هو أحسن جهاز استقبال لا سلكي ... إنه يعرف رائحة «عاطف» وسيجعلنا نتبعه ولا نفقد أثره.

انطلق الأصدقاء يتبعون الثلاثة من بعيد ... وبعد فترة بدا واضحًا لهم أن الدراجات لن تنفع؛ فقد كان الجبل يزداد وعورةً كلما تقدَّموا ... والمطبات تتزايد والصخور تعترض طريقهم ... وهكذا أوقفوا الدراجات جانبًا بعد أن أغلقوا أقفالها ... ثم استأنفوا سيرهم على الأقدام ...

اللاسلكي زنجر

كان جبل «المقطم» يبدو بلا نهاية ... والشمس الحارقة تصب نيرانها عليه، وكان الأصدقاء يسيرون على مبعدة حتى لا يفطن أحد إليهم ... فقد كان صوت أقدامهم مسموعًا في الصمت المُخيِّم على الجبل.

بعد فترة من السير ... وفجأة، اختفى الثلاثة «حمكشة» و«عاطف» والرجل الثالث ... اختفوا كأن الأرض انشقت وابتلعتهم ... وقف الأصدقاء حَيارى لا يعرفون ماذا يفعلون ... ولكن «زنجر» تقدَّم في الوقت المناسب لإنقاذهم؛ فقد أشار إليه «تختخ» وأخذ يُحدِّثه ... وكأنما فهم «زنجر» المطلوب منه فانطلق يجري وخلفه الأصدقاء ... وكان «تختخ» يُمسك بالمقود الجلدي المربوط في رقبة «زنجر» حتى لا يسبقهم كثيرًا ... أو يهجم على الرجلَين فيكشف وجودهم.

لم يطل السير بالأصدقاء ... حتى وجدوا أمامهم مغارةً مظلمةً كان يتجه إليها «زنجر» سريعًا.

أدرك «تختخ» أن «حمكشة» و«عاطف» والرجل الثالث قد دخلوا المغارة، فأوقف تقدُّم «زنجر»، ووقف هو والأصدقاء يتأمَّلون المغارة، وقال «تختخ»: في الأغلب إن الثلاثة دخلوا هنا ... ولا بد أن «أبو شنب» يسكن في هذا المكان المخيف!

قالت «لوزة» وهي تستند إلى إحدى الصخور بعد أن أتعبها السير: وماذا سنفعل الآن؟

ردَّ «تختخ»: لا أدري بالضبط ... فلْننتظر ونرى.

وفي داخل المغارة كان هناك حديث من نوع آخر ... وقف «عاطف» جانبًا يسمع ويرى أغرب ما مر به في حياته! كان «أبو شنب» يجلس في مقعد كبير كالفراش.. طويل الشعر

واللحية ... له عينان تلمعان في ظلام الكهف الذي تُضيئه مشاعل زيتية مقبضة ... وكان عاجزًا ... لا يتحرَّك فيه سوى عينَيه وذراعه.

وكان «حمكشة» يتحدَّث إليه: لقد أحضرت لك الرجل حسب اتفاقنا، ومعه النقود ... وعليك أن تُسلِّمه الذهب حتى تنتهي من هذه العملية.

أبو شنب: كم سيدفع؟

التاجر: عشرة آلاف جنيه.

أبو شنب: ولكن الذهب يساوي خمسين ألف جنيه!

التاجر: صحيح ... ولكن إلى من ستبيعه؟

إنني سآخذه معي في هذه الحقيبة إلى الخارج ... إن بها جيوبًا سريةً لا يكتشفها أحد، وسوف أهرب إلى الخارج حيث أستطيع بيعه هناك.

أبو شنب: ولكنك ستكسب كثيرًا جدًّا ... إنني رجل عاجز لا أستطيع الحركة، ولم يعد في إمكاني أن أكسب شيئًا ... إن هذه أكبر وآخر صفقة في حياتي.

التاجر: إنني لا أستطيع أن أدفع أكثر من هذا ... إنني أُعرِّض نفسي للخطر ... وقد يُقبض عليَّ ... أمَّا أنت ففي أمان في هذا المكان!

حمكشة: أعطِه الذهب ودعنا نتخلَّص منه ... لقد بقي معنا أكثر من سنة، وكل يوم نتعرَّض للخطر ... واليوم بالذات كدنا نذهب في مصيبة ... فهذا الولد مرشد لرجال الشرطة!

التفت «أبو شنب» إلى «عاطف» بعينَين يخرج منها الشرر وقال: أنت ... توقع بي أنا؟ ثم ضحك ضحكةً مخيفةً ردد صداها الكهف المظلم.

قال «حمكشة» في نفاد صبر: أين الذهب؟

أبو شنب: لماذا أنت مستعجل هكذا؟

حمكشة: إن كل دقيقة لها قيمتها ... ونريد أن ننتهي من هذه الصفقة.

أبو شنب: وكم ستأخذ أنت؟

حمكشة: ما تدفعه سآخذه.

أبو شنب: ليس هذا طبعك؛ إنك في العادة طمَّاع.

حمكشة: دعنا من هذا الكلام ... وأعطني ما تشاء.

أبو شنب: بعد أن تأخذ نصيبك لن تسأل عني ... ولو أرسلت لك كل الحمام الذي عندي.

حمكشة: إنك زعيمي ... وأنت الذي علَّمتني الصنعة ولن أتخلَّى عنك.

أخذ «أبو شنب» يُفكِّر وينظر إليهما، فقال التاجر: إذا لم تكن موافقًا فدعني أذهب، فليس هناك وقت ...

أخيرًا قال «أبو شنب»: تعالَ يا «حمكشة» ... ارفعني من هذا الكرسي ... إن الذهب موضوع تحته في حفرة بالأرض.

اقترب «حمكشة» ورفع «أبو شنب» ثم وضعه على الأرض ورفع الكرسي، وأخذ يحفر كالمجنون في الأرض دون أن يلتفت إلى «أبو شنب» الذي أخذ يصيح ليضعه على الكرسي مرةً أخرى.

استمر «حمكشة» يحفر لحظات، ثم مد يده وأخرج كيسًا من الجلد فتحه ثم صاح في فرح موجِّهًا حديثه للتاجر: هذا هو الكنز ... هيا بنا ...

وأسرع «حمكشة» إلى «عاطف» وقيَّده، ولم تُجدِ مقاومة «عاطف»، فقد كان «حمكشة» قويًّا وساعده التاجر ... وكان «أبو شنب» يصيح دون أن يلتفت إليه أحد ... ثم حمل «حمكشة» الكيس وقال للرجل: هيا بنا سريعًا ... سأسلِّمك الذهب وتعطيني النقود!

قال «أبو شنب» متجهِّمًا: هل تتركني يا «حمكشة»؟ ... إنني سأموت في هذا المكان!

حمكشة: لقد آن الأوان لكي تموت ... فلم تعد هناك فائدة منك ... وسيكون هذا الولد معك ليؤنس وحدتك في الساعات الأخيرة ...

وبلا تردُّد أمسك «حمكشة» بالمشاعل وأخذ يُشعل النار في المكان ... قائلًا: إذا لم تموتا بالنار ... ستموتان جوعًا ... الوداع أيها الزعيم!

لم تُجدِ توسُّلات «أبو شنب»، وانطلق الرجلان ...

وفي الخارج شاهد الأصدقاء الرجلَين يخرجان، فقالت «نوسة»: ماذا نفعل؟ إن «عاطف» ليس معهما!

تختخ: لا يُهمنا الرجلان الآن ... المهم إنقاذ «عاطف». دعوهما يسيران، واختفوا خلف الصخور.

اختفى الأصدقاء خلف الصخور ... حتى مرَّ الرجلان ... وما كادا يبتعدان قليلًا حتى انطلق الأصدقاء إلى داخل الكهف ... وكانت النيران قد بدأت تشتعل ولكنها لم تكن قوية ... وهكذا فوجئ «عاطف» بالأصدقاء يدخلون جميعًا ... ولم تمضِ لحظات حتى كانوا قد خلَّصوه من القيود ...

أخذ «عاطف» يُقبِّل الأصدقاء واحدًا واحدًا ... وهو لا يُصدِّق أنه نجا ... وكانت دموع شقيقته «لوزة» تسيل على خدَّيها وهي تحتضنه في حب ...

استطاع الأصدقاء إطفاء النيران بالرمال ... ثم وضعوا «أبو شنب» على كرسيه مرةً أخرى، فقال «عاطف»: ماذا نفعل به؟

تختخ: لن نفعل شيئًا ... إنه لن يستطيع الحركة، وسيبقى في مكانه حتى يحضر له رجال الشرطة.

محب: وأين الكنز الذهبي؟

عاطف: لقد أخذه «حمكشة» ... وخرج ومعه مهرِّب كبير سيشتريه منه ... ولكنه لن يستطيع السفر كما يتصوَّر ... فقد عرفت الطائرة التي سيسافر بها ... إنه مسافر إلى روما ليلًا.

وانطلق الأصدقاء مسرعين إلى حيث كانت تنتظرهم دراجاتهم، وفي الطريق قال «تختخ»: لا أدري لماذا ابتعدت سيارة الشرطة، أليس جهاز اللاسلكي معك؟

عاطف: لا ... لا ... استطاع «حمكشة» خداع رجال الشرطة وأعطى الجهاز لـ «لعبة» الذي انطلق به بعيدًا.

نوسة: هذا يُفسِّر لماذا تحرَّكت السيارة!

وصل الأصدقاء إلى «حلوان» ... وبالتليفون اتصلوا بالمفتش «سامي» وقصوا عليه القصة كلها ...

قال المفتش: هذه جولة أخرى تكسبونها وهي جولة هامة حقًّا ... إنني أشكركم ولكن أريد أن يأتي «عاطف» إلى المطار هذا المساء، فإننا لا نعرف اسم ولا شكل المهرِّب الذي اشترى الكنز الذهبي، وبدلًا من تفتيش كل الركاب فمن الأفضل أن يحضر «عاطف» للتعرُّف عليه.

تختخ: هل تسمح لنا بالحضور معه؟

المفتش: طبعًا ... وسأرسل لكم سيارةً تحملكم إلى المطار فكونوا على استعداد في السادسة.

وضع «تختخ» السمَّاعة ثم حدَّث الأصدقاء بالاتفاق الذي تم بينه وبين المفتش ... وفي السادسة تمامًا كانوا جميعًا في منزل «تختخ»، حيث جاءت السيارة فحملتهم وانطلقت بهم مسرعةً إلى المطار.

كانت الرحلة طويلة ... ولكن السيارة كانت مريحة ... وهواء المساء يميل إلى برودة منعشة ... فاستمتع الأصدقاء جميعًا بالرحلة ... وعندما وصلوا إلى المطار وجدوا المفتش في انتظارهم واستقبلهم بترحاب شديد ثم قال: لقد قبضنا على «أبو شنب» في المغارة ...

والمدهش أنه كان سعيدًا بالقبض عليه … حتى يعترف على «حمكشة» ويدلنا على الأماكن التي يختبئ فيها، وقد وضعنا عددًا من الكمائن في كل مكان يتردَّد عليه … وسوف يسقط في أيدينا حتمًا هذه الليلة … أمَّا «لعبة» فقد قبض عليه رجال الشرطة في الوقت المناسب بواسطة جهاز اللاسلكي قرب بنها … بقي المهرِّب … ونحن في انتظاره الآن.

وزَّع المفتش رجاله حول مدخل صالة المسافرين … وجلس الأصدقاء وأنظارهم مثبتة على مدخل الصالة … وانصرف المفتش … وقال «تختخ» للأصدقاء: إننا لم نرَ المهرِّب … تعالَوا نُجرِّب فراستنا … لعلنا نستطيع التعرُّف عليه قبل «عاطف».

وفعلا بدأ الأصدقاء يركزون أنظارهم على القادمين … وبين لحظة وأخرى كان أحدهم يقف قائلًا: ها هو! ولكن «عاطف» لم يكن يرفع يده.

ومرَّت ساعة، واقترب موعد قيام الطائرة المسافرة إلى «روما» دون أن يتحرَّك «عاطف»، وأحس المفتش بالقلق خوفًا من أن يكون المهرِّب قد مر دون أن يعرفه «عاطف»، فأخذ يُشير إليه، ولكن «عاطف» أشار بأن المهرِّب لم يظهر بعد … ولم يبقَ سوى دقائق على إقلاع الطائرة … وفجأةً أقبلت سيدة عجوز وأسرعت إلى ضابط الجوازات … وفي هذه اللحظة رفع «عاطف» يده بالإشارة المتفق عليها … وحدث ارتباك … فلم يكن رجال الشرطة يتوقَّعون أن يرفع «عاطف» يده أمام هذه السيدة العجوز … ولكن المفتش «سامي» لم يتردَّد، وأسرع إلى السيدة يطلب منها الوقوف …

قالت السيدة في ضيق: ماذا تريد مني؟ … قال المفتش «سامي» بأدب: آسف جدًّا يا سيدتي، إنني المفتش «سامي» مدير المباحث الجنائية … فأرجو أن تسمحي لنا بتفتيشك وتفتيش حقيبتك.

قالت السيدة: غير معقول! … من هذا الذي يفتشني؟ إنني سيدة محترمة … و…

ولكن المفتش لم يدعها تُكمل كلامها وقال بحزم: هناك سيدة مخصَّصة لهذه العملية ستقوم بتفتيشك.

وهنا تدخَّل «عاطف» قائلًا: بل تستطيع أنت تفتيشه يا سيادة المفتش … إن هذه ليست سيدة … إنها رجل.

في هذه اللحظة حدث شيء أثار دهشة الناس الذين تجمَّعوا حول المتناقشَين … فقد قذفت السيدة بالحقيبة في وجه المفتش «سامي» الذي استطاع ببراعة أن يتفاداها، وأطلقت السيدة العجوز ساقَيها جاريةً بنشاط أذهل كل من كان في المطار …

قال المفتش بثقة: لن يستطيع أن يخرج من المطار؛ فكل الأبواب محاصرة.

لم يكد المفتش «سامي» ينهي جملته حتى كانت المطاردة قد انتهت عند باب المطار الرئيسي، حيث أطبق عدد من رجال الشرطة الأقوياء على المهرِّب بعد أن تعب جريًا دون جدوى ... وتقدَّم الرجال وهم يُمسكون بالسيدة التي طار شعرها المستعار ... فبدا وجه رجل على جسم سيدة، ممَّا أثار ضحك الذين تجمَّعوا يتفرَّجون على المطاردة التي انتهت سريعًا.

جلس الأصدقاء والمفتش «سامي» في البوفيه، وكان هناك سؤال هام وجَّهته «نوسة» إلى «عاطف»: كيف عرفت المهرب برغم تنكُّره؟

عاطف: عرفته من شيئين؛ الأول هناك خاتم في إصبعه كنت قد رأيته في الكهف ... والثاني الحقيبة ... فهي نفس الحقيبة التي كانت معه هناك.

نوسة: ولكن لماذا نظرت إليها أصلًا؟ ... ألم تكن تتوقَّع أن يكون رجلًا؟

عاطف: لقد فكَّرت أني شخصيًّا تنكَّرت في شكل نشَّال ... فلماذا لا يتنكَّر المهرِّب في أي شكل؟ ... وهكذا نظرت في كل من دخل من الباب.

ودقَّ جرس التليفون يطلب المفتش الذي أخذ يستمع قليلًا ثم قال للأصدقاء: إن كل شيء على ما يرام أيها المغامرون الخمسة؛ لقد قبض رجالي على «حمكشة» ومعه النقود ... وهكذا وقعت العصابة كلها في أيدينا.

لوزة: وكان ذلك بسبب حمامة جريحة.

المفتش: هناك أشياء صغيرة كثيرة تكون بدايةً لأشياء كبيرة ... وفي عمل الشرطة فقد يكون أصغر شيء هو أهم شيء ... ومثلًا لولا الخاتم لما عرف «عاطف» المهرِّب.

كانت الساعة تقترب من العاشرة عندما وصلت السيارة تُقل المغامرين الخمسة إلى المعادي، وذهب كلٌّ منهم إلى منزله ... «عاطف» و«لوزة» معًا ... «نوسة» و«محب» معًا ... أمَّا «تختخ» فقد عاد وحيدًا ... ولكن «زنجر» كان في انتظاره أمام الباب ... وانتهى لغز الرسالة الطائرة.

ولكن هناك ألغازًا أخرى.


هنداوي